عمامَة الملّا





قبل خمسين سنةً، كان الصِّغار يذهبونَ إلى الكتاتيبِ لِيتعلموا القراءةَ والكِتابةَ، ويحفظوا القُرآن الكَريمَ. وكانَ يُدَرِّسهمْ في الكَتاتيبِ شُيوخٌ مُعَمَّمونَ لا يعرفونَ شيئاً عَنْ أصولِ التَّربيةِ والتَّعليمِ، ولهذا كانوا كثيراً ما يلجأون إلى العَصا، يضربونَ بها الصِّغار لأيِّ حركةٍ تبدو مِنهم. وكانَ يُطلقُ على هذا الشَّيخِ آسمَ «الملاّ».

في واحد من كتاتيب بغداد كانت تدرسُ جماعةٌ من الصِّغار. وكان الملاّ شيخاً طاعناً في السن، ولكنه كان سريعَ الغضب.. يتناول عصاه لأتفه الأسباب، وينهالُ بهاضرباً على رؤوسِ الصِّغار المساكين.

أصبح تلاميذ هذا الملاّ، لكثرةِ ما تعودوا على الضربِ، كثيري المشاكسة، يبحثون عن أيِّ سببٍ للتندّر والضحك وإثارة الشغب، لأنهم ما عادوا



يخافون من العقوبة .

كان الملاّ يمنعهم منعاً باتاً من الكلام باللهجة العامّية أثناءَ الدرس .. فعلى التلميذ الصغير أن لا ينطقَ بغير العربيّةِ الفُصحى .. وكانَ الواحدُ منهم إذا نطقَ بكلمةٍ عاميةٍ واحدة ، ولو سهواً ، لا يجد نفسه إلاّ والعَصا تَقرعُ رأسَهُ قرعةً يَرِنُّ لها دماغه رنيناً . ولهذا كانَ التلاميذُ قليلاً ما يتكلّمونَ في الدّرسِ

خشيةً مِنَ الوقوعِ في الخطأ .

في يومٍ مِنْ أيّامِ الشّتاءِ الباردةِ ، وكانَ المُلاّ قد جلسَ في صدرِ الصّفّ مُواجِهاً تلاميذَهُ الصّغارَ الجالسينَ على الأرضِ المفروشةِ بالحصران .. وأمام المُلاّ منقلةٌ مليئةٌ بالجَمْرِ ، وقد أمرَ التّلاميذَ أن يقوموا بالتناوب بمُهمّةِ إيقادِ النّار .. كُلُّ مَنْ يجيءُ دورُهُ يأخذُ المُهفّةَ ويُهفّي بها على الفحمِ المُشتَعِلِ الذي



كان الشّرارُ يتطايرُ مِنه حتىّ يبلغَ سقفَ الغرفةِ الواطىء.

كانَ المُلاّ قد علّقَ عِمامتهُ بمسمارٍ عالٍ مُثبَّتٍ على الحائط الذي خلفه.

وبينما كانَ يقرأُ الدَّرسَ والتّلامِيذ يُردّدونَ بَعدهُ، وعصاهُ تهوي بينَ آونةٍ وأخرى على رأسٍ من رؤوسِهم.. إذ شمَّ رائحةَ قماشٍ يحترق.

تَوقّفَ المُلاّ عَن التّلاوَة.. كان الصِّغارُ يتغامزونَ ويضحكونَ خِفْيَة. قَرَعَ رأسَ هذا.. وقرعَ رأسَ ذاك.. ثم سألهمْ إذا كان أحدٌ مِنهم يَشمُّ رائحةً غريبة".. فأجابوا جميعاً: لا، شيخَنا.

عادَ المُلّا إلى التّلاوةِ، ولكنَّ الرائِحةَ اشتدَّتْ.. وضحكاتُ الصِّغارِ صارتْ واضحةً.. فتوقَّفَ مِنْ جَديدٍ وصاحَ بهمْ غاضِباً: لماذا تضحكونَ أيّها الشّياطين؟



قال أحدُهمْ وهو يغالبُ ضحكَهُ، ويَمُطُّ كلماتِه مَطّاً : يا شيخَنا .. لقد قَفزَتْ شرارةٌ مِنْ هذه النّار المُشتعِلَةِ على عِمامَتِك فأحْرَقَتْها.

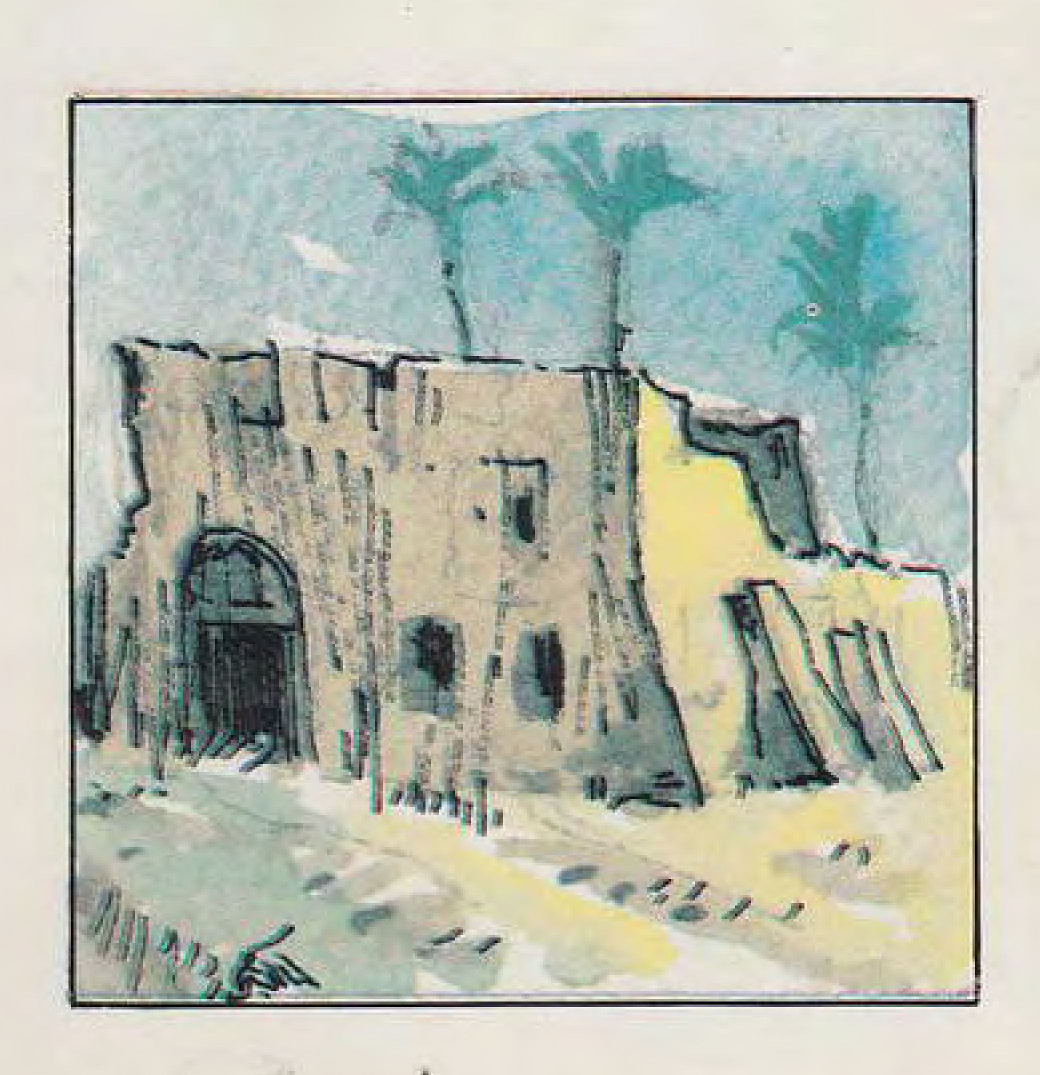
وما أتمَّ الصَّغيرُ كلامَهُ حتّى ٱشتَعلتِ العمامَةُ كُلُّها.

قَفزَ المُلاّ وعَصاهُ بيدِهِ، وٱنهالَ على الصَّغيرِ ضَرْباً وهوَ يَصْرَخ : أيّها الشَّيطانُ الصَّغيرُ .. الآنَ فَقَطْ تذكَّرتَ أن تَتكلَّمَ باللّغةِ العربيّةِ الفَصيحة ؟؟ .. أما كان بٱستِطاعَتِكَ أن تختَصِرَ فتقول : «شيخَنا عِمامَتُك» لِكَيْ أُلحقَ العِمامةَ قبلَ أن تَحتَرِق؟

ولمدّةِ يومينِ ظلّ الصَّغارُ هاربينَ مِنَ المُلاّ لا يحضرونَ الدُّروسَ خَوفاً مِنْ بَطْشِهِ .. حتّى أتى أولياءُ أمورِهم، وٱسترضوهُ، ودفعوا لَهُ ثمنَ العِمامَةِ المُحترِقة.

تصميم : أماني عبد الفتّاح

الجمهورية العراقية ـ وزارة الثقافة والاعلام ـ دار ثقافة الاطفال



الناشر : دار ثقافة الاطفال ـ ص . ب ١٤١٧٦ بغداد

ثمن النسخة داخل العراق ٢٥٠ فلساً عراقياً
وخارج العراق ٣٥٠ فلساً

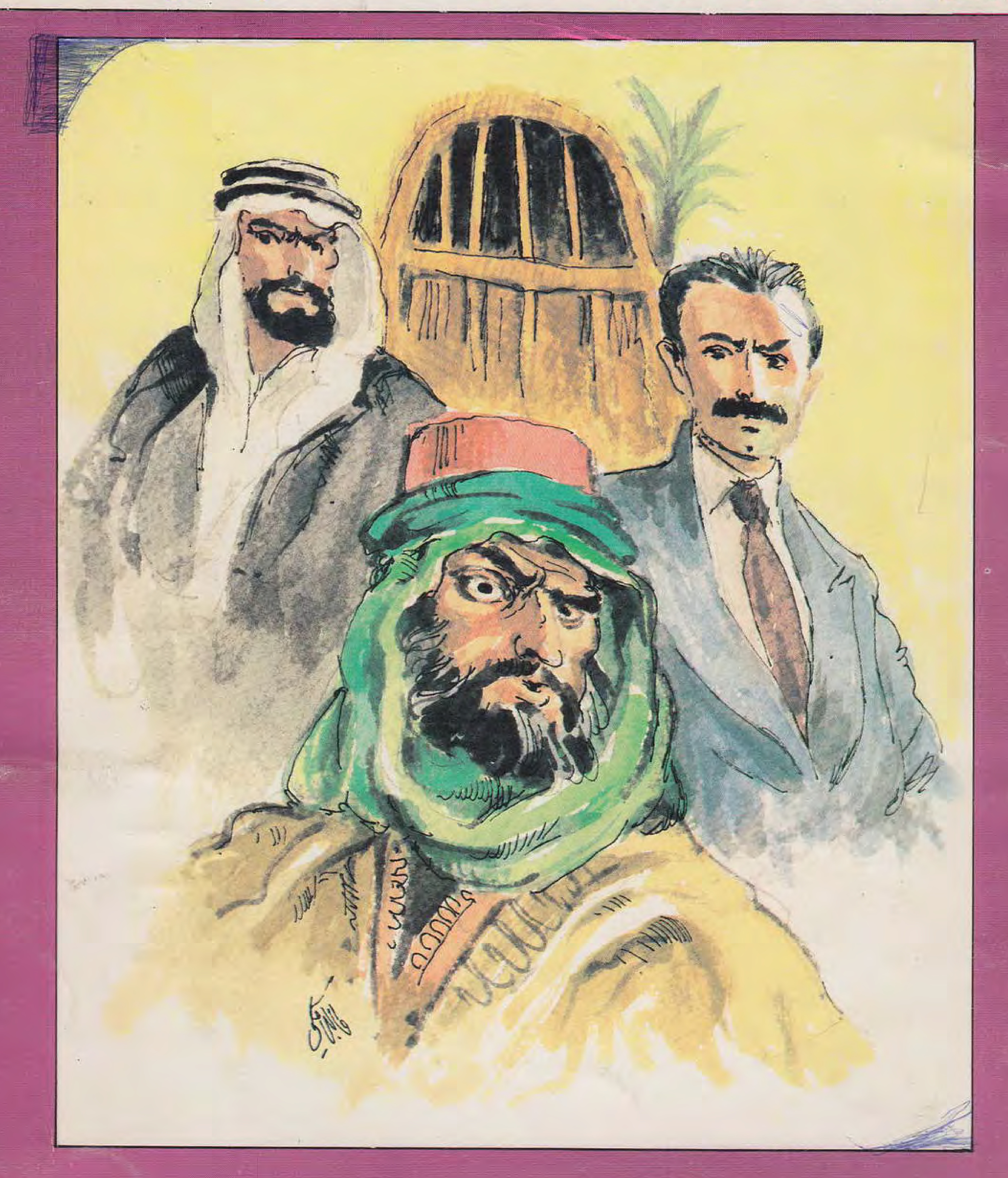
دار الحرية للطباعة . بغداد

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٩٠٤ لعام ١٩٨٤

توزيع الدار الوطنية للتوزيع والاعلان

حكايتان لِعَمِّي المُلا

...تبة الطفل ... مكتبة الطفل ... مكتبة الطفل ... مكتبة الطفل ... مكتبة الطفـل ...
سلسلة حكايات شعبية ـ ٣٩ ـ



حِكايتان لِعيّ الملّا



كتبها : عبدالرزاق عبدالواحد

رسوم : طالب مكي



الحيّة وملاّ شبّوط

قبل أكثر من أربعين سنة ، حدثت هذه القصة .. كنا أطفالاً ، أنا وإخوتي وأخواتي .. وكانت ليلة من ليالي الشتاء الباردة ، ونحن متجمعون حول موقد النار في بيتنا البسيط في محافظة ميسان. وفجأةً أخذ جدي يضحك .

التفتت أمّي اليه وسألته : ما الذي أضحككَ يا أبي ؟

فسعلَ وتنحنح ثمَّ قال : واحد من أصحابي حكىٰ لي اليوم حكاية عجيبة ..



تذكّرتُها وضَحِكت .

ما إن أتمَّ جدّي جملته ، حتى وثبنا أنا وإخوتي جميعاً إليه ، وتجمّعنا حوله متوسّلين :

ـ قصّها علينا يا جدّي ..

قال : حسناً .. عودوا إلى أماكِنكم لِئلاّ تبردوا ، وسأقصُّ عليكمُ الحِكاية .

حَشرْنا أنفسَنا جميعاً في الأماكنِ القريبةِ مِن جدّي ، دافعينَ أمّي وأبي إلى الطرفِ الآخرِ مِنَ المكانِ ، ونحنُ نستحثّهُ على الكلام .

قال جدّي :

لي صاحبٌ في قريةٍ مِن قرى ميسان ، تقعُ على أحدِ الأهوار .. التقيتُ بهِ صباحَ هذا اليومِ في سوقِ المدينةِ ، فقصَّ عليّ الحِكايةَ التالية .. قال :



فُتِحتْ في قريتِنا منذَ شهرين، مدرسةٌ ابتدائيةٌ مِن صفٍّ واحد .. وهي الأولى من نوعِها في قريتِنا .. ودخلَ إليها تلاميذٌ مِعظمُهم كِبارُ السِنِّ، يجيئونَ إلى المدرسةِ حُفاةً بالدَّشاديش .. هذا يَجيءُ راكباً حمارَهُ ويربُطهُ في ساحةِ المدرسة .. وذاكَ يَدخلُ إلى الصَّفِّ ومعهُ خروفُه .. وثالثٌ يتبعهُ كَلبٌ كبيرٌ يُحدِثُ عِندَ دخولهِ كثيراً مِنَ الهَرَجِ والمَرَج .. يَشِبُ على هذا، ويَنبحُ على

ذاك .. وكان المُعَلِّمُ لا يَعترِضَ عليهم لأنَّهُ يعرفُ حياةَ القريةِ، ويَخشى إنْ هو تَشَدَّدَ معَ التَّلاميذِ أن يَتركوا الدِّراسة، فتخسرَ القريةُ مدرسَتَها الوَحيدة.

كانتِ المدرسةُ كوخاً مِنَ القصبِ والطِّينِ، يستعملُ كَصَفٍّ، تُحيطُ بهِ ساحةٌ تَرابيَّةٌ واسعةٌ مسوّرةٌ بسياجٍ مِنَ الحصرانِ. وكانَ الطُّلّابُ أثناءَ الدِّراسَةِ يَجلسونَ على الأرضِ، أمّا في الشِّتاءِ، فَتُفَرَشُ أرضيّةُ الصَّفِّ بالحصرانِ التي



غالباً ما يجلبها التلاميذُ مِنْ بيوتهم.

كان المُعلِّمُ شاباً نشيطاً .. ذكياً ومُتحمِّساً لِعَمَلِهِ. وكانَ كثيراً ما يتحدَّثُ معَ تلاميذِهِ عَنْ شؤونِ حَياتِهم، وأمورِ معاشِهِم، ويُقدِّمُ لهمْ ما يَستطيعُ مِنْ نُصْحٍ ومُساعدة. وفي كثيرٍ مِنَ الأحيانِ كانَ يرى في جيوبِ تلاميذِهِ، وحول أذرِعتِهم، لفائفَ مغلَّفةً بالقِماشِ .. يَسألُهُمْ عنها فيقولون: إنَّها دعاءٌ كتَبهُ لنا

المُلاّ شبّوط لِيحرسَنا مِنَ الجِنِّ والعفاريتِ، ويطردَ عنّا الشَّرّ.

كانَ المُعلِّمُ يَعرِفُ المُلاّ شَبّوط هذا .. ويَعلَمُ أنَّهُ أمّيّ لا يُحسِنُ القِراءةَ والكِتابة ..وأنَّهُ مُشَعوِذٌ دَجّالٌ يلعبُ بِعقولِ هؤلاءِ القُرَوِيّين السُّذَّج ويأخذُ أموالَهم.

وكانَ المُعلِّمُ كُلَّما طلبَ مِنْ أحدِ تلاميذِهِ أنْ يفتحَ لهُ الدُّعاءَ لِيراهُ، خافَ



التلميذ، ورفضَ رفضاً قاطِعاً، لأنَّ المُلاّ شَبّوط حذّرَهُمْ بأنّ مَنْ يفتحْ تعويذتَه، أو يسمحْ لأحدٍ بفتحها، يَغْضَبْ عليهِ الجِنُّ فيمسخهُ كَلباً أو حِماراً أوْ أيَّ شيءٍ آخر، وأقلّ ما يفعلهُ بِهِ أنْ يَدخُلَ في رأسِهِ فيُصاب بالجنون.

أيقنَ المُعلِّمُ أنَّ أوّلَ ما يجبُ أن يبدأ بهِ في تعليمِ هؤلاءِ النّاسِ أنْ يُحرّرَ عقولَهم مِنْ هذهِ الخرافات.. فراحَ يؤكّدُ لهمْ كذبَ المُلاّ شَبّوط، وأنّهُ أساساً



أمّيٌّ لا يعرف القِراءةَ ولا الكِتابة .

وَصلتْ هذهِ الأقوالُ إلى المُلاّ شَبّوط فَثارتْ ثائرَتُهُ ، لِأنَّ ذلكَ يعني ٱبتعادَ النَّاسِ عنهُ ، وضعفَ مَركزهِ ، وزوالَ هيبتهِ في القريةِ ، وخسارتهِ لِكُلِّ هذهِ الأموالِ التي يحصلُ عليها بالسِّحرِ والشَّعوَذَة .

ذهبَ المُلاّ شَبّوط غاضباً إلى شيخِ القَرية .. والشَّيخَ كما تعلمونَ هو الآمِرُ



النّاهي في القريةِ، لأنه الذي يملكُ جميعَ الأراضي، وكانَ صديقاً للمُلاّ شَبّوط، يتعاونانِ معاً على سلبِ الفلاّحينَ أتعابهم، وتركهم غارقينَ في الجهلِ والخرافاتِ لتسهلَ عليهما مهمةُ السيطرةِ عليهمْ.

قصَّ الملاّ شَبّوط على الشّيخِ ما كانَ مِنْ أمرِ المُعلّمِ معَ التّلاميذِ، وكيفَ يحرّضهم عليه.. فَغَضِبَ الشّيخُ، وأمرَ بأنْ يجتمعَ جميعُ رجالِ القريةِ في

مَضيفهِ، فاجتمعوا. ثم أمرَ بأنْ يُدعى المُعَلّمُ للحضورِ، فحضرَ. وما إن سَلّمَ المُعلّمُ وجلسَ، حتّى التفتَ إليهِ الشّيخُ قائلاً:

هل صحيحٌ أنك قلتَ للتلاميذ أنَّ مُلاّ شَبّوط لا يَعرفُ القِراءةَ والكتابة؟؟

قال المُعَلّمُ: نَعم.

فقال الشّيخ: وأنت.. أتعرفُ القراءةَ والكتابة؟




ـ طبعاً أعرفها .. فأنا معلم ..

قالَ الشَّيخ : أنتَ جئتَ إلينا مُنذَ شهرينِ فقط .. والمُلاّ شَبّوط منذ ثلاثينَ سنةً يكتبُ لنا ولأولادِنا الأدعيةَ والتَّعاويذَ . أنا عندي دعاءٌ مِنْ أدعِيتهِ عُمُرهُ أكبرُ مِنْ عُمُرِكَ كُلّه ، فكيفَ تُريدُني أنْ أصدِّقَك ؟

كانَ الشَّيخَ غاضِباً . وكانَ الجَوُّ كُلُّهُ مُتوَتِّراً .. والقَرويّونَ ينظرونَ تارةً إلى وجهِ المُلاّ شَبّوط ، وأخرى إلى وجهِ المُعَلِّمِ الشّاب ، منتظرينَ النَّتيجةَ الحاسِمةَ لِهذا النِّقاش .

تَمالكَ الشَّيخ غَضَبهُ ، ثُمَّ ٱلتَمَعَتْ عيناهُ وٱبتسمَ بِخُبثٍ بَينما كانَ المُلاّ شَبّوط يَهمِسَ في أُذُنِهِ بكلامٍ لم يَسْمَعْهُ أحد .. وٱلتَفَتَ إلى المُعَلِّمِ قائلاً :

حَسَناً .. سأمتحنكما أمام الحاضرينَ لِأرى مَنْ مِنكُما الصّادِقُ وَمَنِ الكاذِب .



فوافقَ الجميع .

أمرَ الشَّيخُ باحضارِ سبّورةِ المدرسةِ مَعَ قِطعٍ مِنَ الطّباشيرِ ، فأُحضِرتْ في الحال . ثُمَّ ٱلتفتَ إلى المُعلّمِ وقال :

أكتبْ لنا «حيّة» .

أحسَّ المُعلّمُ بالحَرَجِ وهوَ ينظرُ في وجوهِ الحاضِرين . أيتحمّلُ مِثلَ هذهِ الإهانةِ ، ويؤدّي امتحاناً مُضحِكاً كَهذا ، وهوَ الذي قضى السَّنواتِ الطويلةَ في الدّرسِ والتّحصيل ؟! ولكنّه قالَ بينهُ وبينَ نفسِه : لا بُدَّ أنْ أكشِفَ كِذْبَ المُلاّ شَبّوط . مِنْ أجل بقاءِ المدرسة ، ومِنْ أجلِ مصلحةِ الأطفالِ لا بُدَّ أنْ أتحمل ..

وبينَ نظراتِ القرويينَ المتلهفةِ ، وَقفَ المُعلّمُ ، وٱتّجَهَ إلى السّبورةِ ، ثُمّ



تناولَ قِطعةً مِنَ الطّباشيرِ ، وكَتبَ على اللّوحِ الأسود : «حيّة» .

نَظرَ الشيخُ إلى المُعلّمِ طويلاً ثُمَّ سأله : أهذِهِ حيّة ؟

قالَ المُعلّم : نعم .

قالَ الشّيخ : حسناً يا مُلاّ شَبّوط .. قُمْ أنتَ وآكتبْ لنا «حيّة» .

وثبَ المُلاّ شَبّوط مُسرِعاً إلى السبّورة ، فتناولَ قِطعةً مِن الطّباشيرِ ، ثُمَّ رسمَ

خطّاً متموِّجاً ، ووَضعَ له رأساً مُدوَّراً ، وأخرجَ مِنهُ لساناً ذا شعبتين .. ثمَّ وَضعَ نَقطةً في وسطِ الرأسِ بمثابةِ العينِ ، وألقى الطّباشيرَ ، ثُمَّ عاد إلى مكانهِ بجانبِ الشّيخ .

إلتفتَ الشّيخُ إلى الحاضرينَ الذينَ لمْ يكنْ بينهمْ واحدٌ يَعرِفُ القِراءةَ والكِتابةَ ، وقالَ بَعدَ أن تضاحَكَ بِسُخرية :



بالله عليكم .. أيّ واحدةٍ مِن هاتينِ هيَ الحيّة ؟؟
فأشاروا جميعاً إلى رسمِ المُلّا شبّوط وقالوا : هذهِ يا طَويل العُمر .

قالَ الشَّيخُ لِلمُعَلّم : المُلّا شَبّوط يَكتبُ أحسنَ منكَ . أخرجْ مِنْ قريتنا ، فنحنُ لا نُريدُ أمثالَك .. كانَ عليكَ قبلَ أن تجيءَ لِتُعَلِّمَنا ، أنْ تَدرسَ عِندَ واحدٍ مثل المُلاّ شَبّوط لِكيْ يُعَلِّمَكَ كيفَ تَكتبُ وتَقرأ .

وآستغرقَ جدّي في الضَّحِكِ مِنْ جَديد .
قُلنا : وماذا حَصَلَ بعدَ ذلِك يا جدِّي ؟

قالَ : روىْ لي صاحبي،أنَّ المُعَلِّمَ حاولَ عبثاً أنْ يُفَهِّمَهمْ بالخطأ الذي وقعوا فيه . لقد طردوه مِنَ القريةِ ، ووَهَبَ الشَّيخُ مَدرسَتَهُ للملاّ شَبّوط لِيتَّخِذَها مَقرّاً يُمارِسُ فيهِ السِّحرَ وخداعَ القرويينَ البُسَطاء .